التوبة التي ردّت حقًا



مدارج



رن هاتف أحمد وهو يضع دفتر الورشة على الطاولة. كان الفتى، الذي أتم السادسة عشرة هذا العام، ينتظر بدل السفر منذ انتهاء التدريب. فتح إشعار التحويل: ثلاثمائة وعشرون ريالا. عاد إلى الرسالة التي حددت المبلغ المعتمد؛ مئتان وأربعون. أعاد القراءة، ثم طرح الرقمين على حاسبة الهاتف. بقيت ثمانون ريالا لا يعرف لها سببا.

فتح صورة السماعات التي احتفظ بها في قائمة مشترياته. كان ينقص مدخراته مبلغ قريب من الفرق الظاهر أمامه. قرب الهاتف من وجهه، كأن تكبير الأرقام سيغير معناها. ربما أضيف له شيء لم يخبره به أحد. لكن الرسالة لم تذكر إضافة، ولم يكن عنده إيصال جديد يفسرها. أغلق صورة السماعات وأعاد فتحها، ثم تركها على الشاشة دون أن يضغط زر الشراء.

دخل أبوه، وقد أتم الرابعة والأربعين، وسأله إن كان بدل الورشة قد وصل. قال أحمد: وصل. انتظر لحظة كان يستطيع أن يضيف فيها الرقم، لكنه انشغل بترتيب الدفتر. لم يكذب في الكلمة التي نطقها، إلا أنه كان يعرف أي خبر تعمد تركه خارج الجواب.

بعد خروج أبيه، لم يعد الفرق مجرد خطأ في التحويل؛ صار معه سكوت اختاره وهو يفهم ما يخفيه.

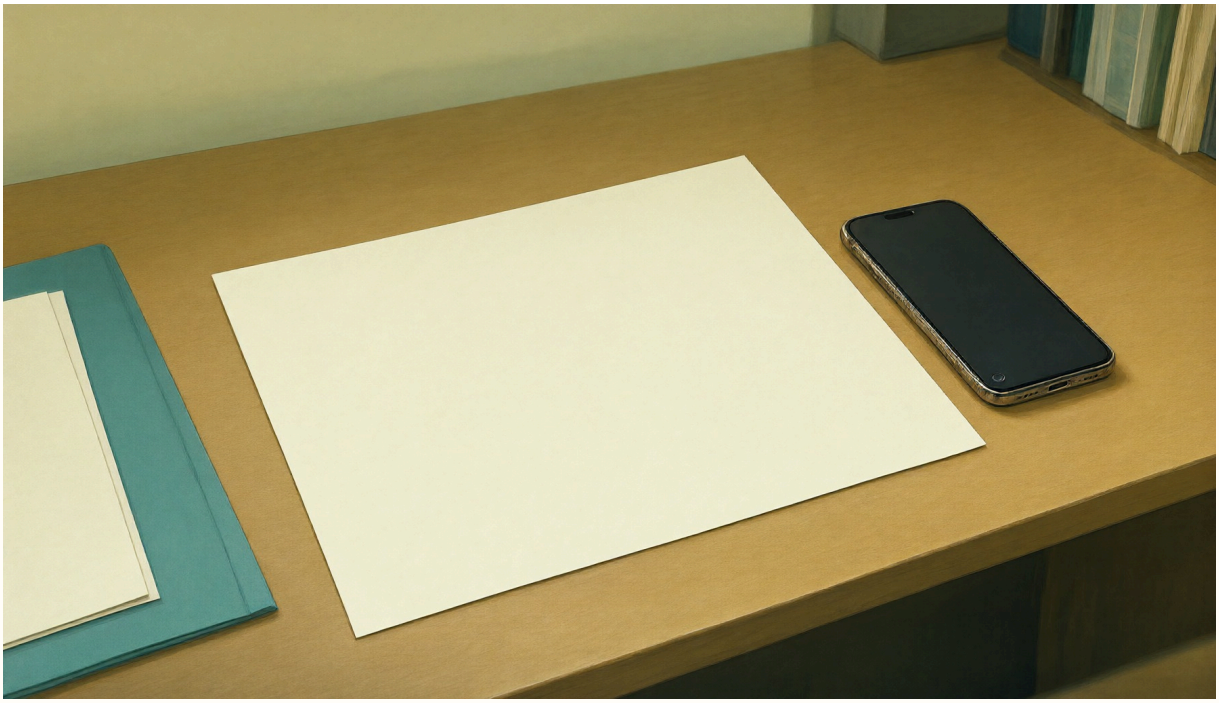
فتح محادثة الورشة وكتب سؤالا عن المبلغ، ثم مسحه قبل الإرسال. خاف أن يبدو كمن احتفظ بالزيادة وانتظر أن يكتشفها غيره. وضع الهاتف مقلوبا، لكن رقم الثمانين بقي حاضرا. عاد فحفظ إشعار التحويل والرسالة المعتمدة في مجلد خاص، وكتب على ورقة: ما تفسير الفرق؟ لم يرسل السؤال تلك الليلة، ولم يشتر السماعات. بقي الدفتر مفتوحا بجوار هاتفه، وفي الصفحة البيضاء مكان لجواب لم يطلبه بعد.



في صباح الثلاثاء، وضع أحمد دفتره أمام أبيه قبل أن ينشغل كل منهما بيومه. قال إن التحويل وصل بثلاثمائة وعشرين ريالا، مع أن الرسالة اعتمدت مئتين وأربعين فقط. هذه المرة ذكر الرقمين معا. سأله أبوه متى رأى الفرق. تحرك إصبع أحمد فوق حافة الورقة، ثم أجاب: أمس. سكت قليلا قبل أن يضيف أنه فكر في استعمال الزيادة ولم يسأل عنها. لم يكن الاعتراف مريحا، لكنه أنهى جملة ناقصة تركها في حديث الأمس.

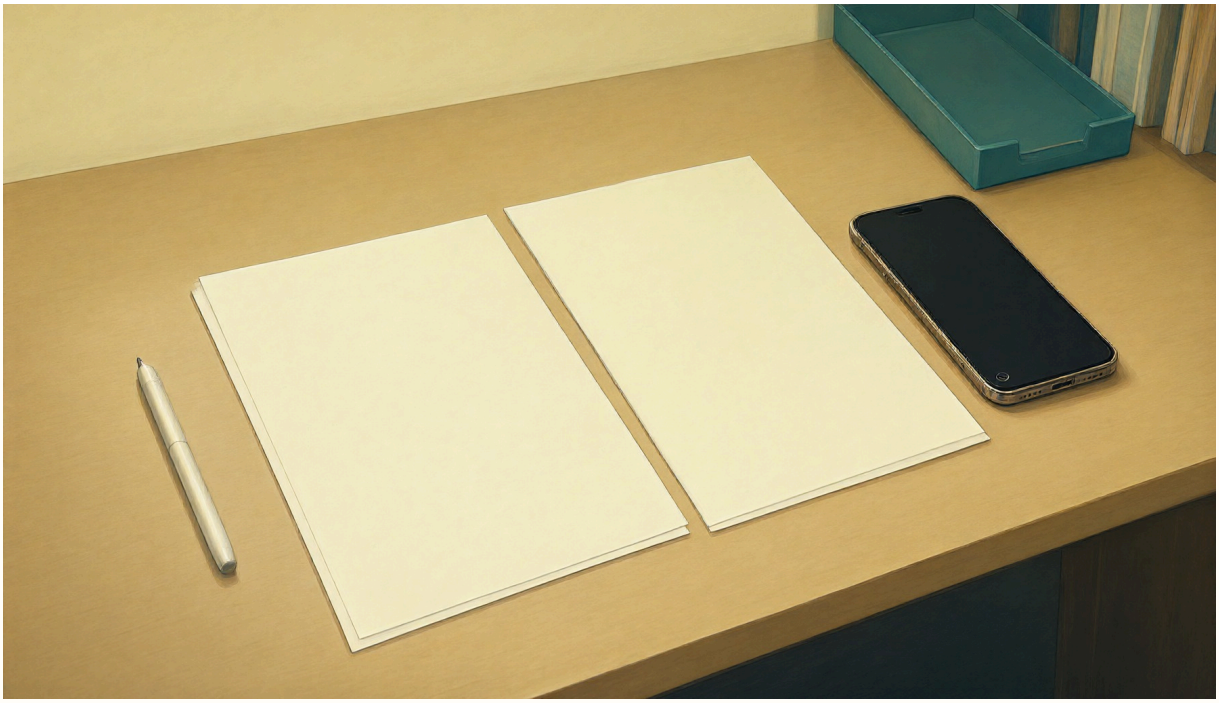
طلب أبوه أن يريه المستندين، لا صورة السماعات ولا حساباته المتوقعة. فتح أحمد رسالة الورشة وإشعار التحويل، وكتب ثلاثة عناوين في الدفتر: المعتمد، والمحول، والفرق. وضع تحتها مئتين وأربعين، وثلاثمائة وعشرين، وثمانين. عاد إلى تفاصيل المصروف المعتمد يبحث عن بند أغفله؛ لم يجد في الرسالة ما يفسر الزيادة. لم يكتب أنها مكافأة، ولم يجزم بعد باسم من أخطأ. الذي يملكه حتى الآن مستندان لا يتطابق رقماهما، وسؤال يحتاج إلى صاحب صلاحية يجيب عنه.

سأل أحمد إن كان يستطيع تحويل الفرق إلى أي حساب يرسله إليه أحد من الورشة. أعاد أبوه السؤال إليه: كيف ستعرف صاحب الحساب ومن يملك توجيهك إليه؟ نظر أحمد إلى الدفتر؛ لم تكن أسماء المشاركين دليلا على مسؤولية أحد عن المال. كتب أسفل الأرقام: من يتولى المصروفات؟ وكيف أصل إليه من جهة أعرفها؟ أبقى المستندين محفوظين عنده، ولم ينشر صورتيهما في مجموعة المشاركين. وفي المساء راجع الرسالة العامة بحثا عن وسيلة اتصال رسمية، وحدد ما سيطلبه منها صباح الأربعاء. صار يعرف مقدار الفرق، لكنه لم يكن قد عرف بعد طريق رده.



وجد أحمد صباح الأربعاء مكالمة فائتة ورسالة من رقم لم يحفظه. كتب صاحبها أنه يتابع مدفوعات الورشة، وطلب صورة إشعار التحويل ليشرح له طريقة التسوية. كاد أحمد يفتح المجلد الخاص الذي جمع فيه مستنديه؛ بدا الرد السريع أقصر طريق لإبعاد القلق. لكنه توقف قبل إرفاق الصورة. لا يعرف صاحب الرقم، ولم يكن في الرسالة ما يبين صلته بالجهة التي أرسلت البدل. لم يتهمه بالكذب، ولم يعتبر وصفه لنفسه دليلا يكفي لإرسال معلوماته.

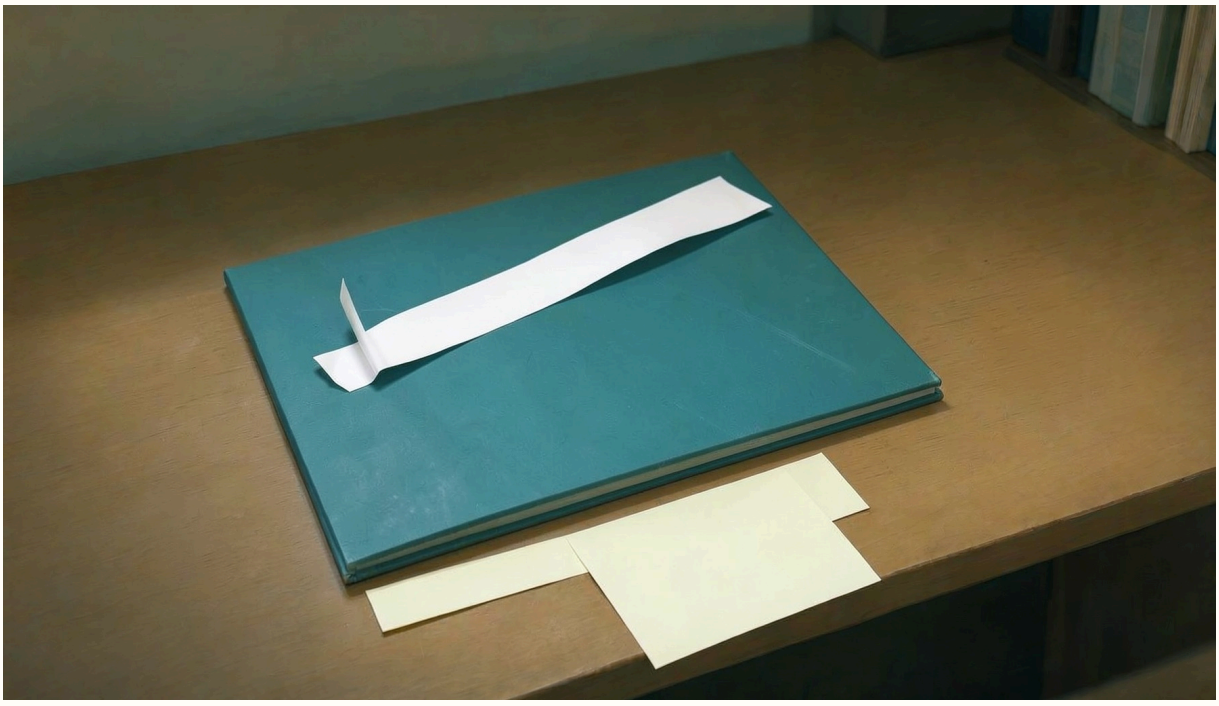
عاد إلى دعوة التدريب الأصلية، واستخرج منها رقم التواصل الذي استعمله أبوه قبل بدء الورشة. اتصل وسأل عن الشخص الذي يتولى المصروفات، من غير أن يروي تفاصيل حسابه لكل من يجيبه. تحقق الموظف من اسم الورشة وموعدها، ثم أخبره بأن سامي يراجع هذا النوع من المدفوعات. كان سامي قد بلغ الثانية والأربعين، ويتولى متابعة سجلات المصروفات في المركز. طلب أحمد وسيلة وصول إليه من داخل المركز نفسه، بدلا من الاعتماد على الرقم الذي وصله صباحا. أعطاه الموظف موعدا صباح الخميس، وأكد أن يحضر معه المستندين اللذين يريد الاستفسار عنهما.



كتب أحمد اسم سامي والموعد في الصفحة التي تحمل الأرقام الثلاثة. لم يشطب سؤال الجهة المختصة كله؛ عرف من سيقابله، لكن عليه أن يعرض الفرق ويسمع الإجراء الذي يخص حالته. أضاف سؤالين للقاء: هل توجد إضافة معتمدة لا تظهر في الرسالة؟ وإذا لم توجد، فمن يحدد الحساب الصحيح لإعادة الزيادة؟ أغلق المحادثة الواردة من الرقم غير المحفوظ دون إرسال صور أو مال. وضع الدفتر مع دعوة التدريب، وجهز المستندين للموعد. انتهى الأربعاء وقد صار لسؤاله شخص وموعد، لا إيصال إرجاع ولا جواب نهائي بعد.

وصل يوم الخميس، وهو الموعد الذي حدده أحمد للقاء المسؤول عن الحسابات. توجه إلى المركز وهو يحمل دفتره الصغير، وقد أعد فيه كل التفاصيل بدقة. كان يشعر ببعض التوتر، لكنه كان يدرك أن الصدق هو الطريق الوحيد لإراحة ضميره. في مكتب الاستقبال، سأل عن سامي، المنسق المالي الذي بلغ من العمر اثنين وأربعين عاما. حصل على التوجيهات اللازمة ودخل لمقابلته.

جلس أحمد أمام سامي، ووضع دفتره على الطاولة. بدأ بسرد الموقف بهدوء، موضحا أن إشعار التحويل الذي وصله كان بمبلغ ثلاثمائة وعشرين ريالا، بينما كانت الرسالة المعتمدة من الورشة تحدد مئتين وأربعين ريالا فقط. أظهر أحمد المستندين بوضوح، مشيرا إلى الفرق البالغ ثمانين ريالا. لم يحاول إخفاء أي تفصيل، بل أراد معرفة ما إذا كان هذا الرقم ناتجا عن خطأ تقني أو إضافة معتمدة لم تظهر في الرسالة الأصلية، وكان ينتظر سماع التفسير الرسمي.



راجع سامي رسالة الاعتماد وقيد التحويل، ثم أوضح أن السجل يثبت مئتين وأربعين ريالا، ولا يسجل إضافة معتمدة تفسر الثمانين الزائدة. كتب مرجع المعاملة في ورقة تسوية، وحدد فيها حساب المركز المعتمد لهذه الحالة، وطلب من أحمد أن يطابق اسم الجهة قبل الإعادة، ثم يرسل الإيصال في مراسلة الورشة المعروفة. قرأ أحمد الورقة وأعاد شرح ما فهمه، حتى لا يخرج بعبارة عامة عن الرد الصحيح. سأل أين يرسل الإيصال إن احتاج إلى سؤال آخر، فأشار سامي إلى المراسلة نفسها. وضع أحمد الورقة مع مستنديه. لم يكن قد أعاد المبلغ بعد؛ حدد صباح الجمعة لتنفيذ الخطوة ومراجعة بياناتها بهدوء.

أشرق صباح الجمعة، وجلس أحمد أمام هاتفه وورقة التسوية التي قدمها له سامي. قرأ مرجع المعاملة، ثم قابل اسم المركز وبيانات الحساب بما يظهر في التطبيق. توقف عند خانة المبلغ؛ لم يكن المطلوب إعادة ما استحقه من بدل السفر، ولا تحويل المبلغ كله، بل الثمانين الزائدة فقط. كتب المبلغ، وأعاد قراءته قبل التأكيد. كان يريد أن ينهي الأمر بسرعة، لكن خطأ جديدا لن يصلح تأخره القديم. ترك ورقة سامي إلى جواره، وكتب في الملاحظات مرجع التسوية وسبب الإعادة.

بعد أن راجع البيانات، أكد أحمد التحويل إلى حساب المركز المحدد. ظهر إشعار تنفيذ العملية، ففتح تفاصيله ليتأكد من المبلغ والجهة والتاريخ. حفظ الإيصال مع المستندين الأولين، وأبقى نسخة واضحة من ورقة التسوية. لم يتعامل مع الإيصال كشهادة على صلاح نيته؛ كان دليلا على عملية تحتاج إلى مطابقة عند الجهة المستلمة. رأى في سجل حسابه أن الثمانين خرجت منه، لكن شاشة هاتفه وحدها لا تخبره بأن سامي ربطها بالمعاملة الصحيحة. لذلك بقيت خطوة التواصل، ولم يغلق الملف.



فتح أحمد مراسلة الورشة المعروفة وأرفق الإيصال، ثم كتب أنه أعاد مبلغ الزيادة بناء على ورقة التسوية، وطلب تأكيد وصوله وربطه بالمرجع. راجع الرسالة وحذف تفاصيل لا تحتاجها هذه المراسلة؛ لم يرسل بيانات الدخول أو صورا أخرى من حسابه. ضغط الإرسال ووضع الهاتف على الطاولة. لم يأت الرد فورا. عاوده سؤال صغير: ماذا سيظن سامي حين يرى التأخر؟ لم يجد جوابا في الشاشة، ولم يحاول شراء الطمأنينة برسالة مدح لنفسه. أبقى الملف مفتوحا للتأكيد، وعاد إلى يومه منتظرا الرد.

في عصر الجمعة، ظهر رد سامي في مراسلة الورشة. أكد وصول الثمانين ريالا وربطها بمرجع التسوية، وأن المتبقي المطلوب لهذه المعاملة صار صفرا. قابل أحمد المرجع بالإيصال، ثم حفظ الرد مع أوراقه. هذه المرة جاء التأكيد من الجهة التي تراجع السجل، لا من إشعار هاتفه وحده. حمل الملف إلى أبيه، وتركه مفتوحا على الصفحة الأخيرة. قرأ الأب الرد، ثم سأله عما سيفعله إذا رأى فرقا آخر. قال أحمد إنه سيسأل عند اكتشافه، قبل أن تتحول رغبته في شراء شيء إلى عذر لإبقاء حق غيره.

تذكر أحمد قائمة السماعات التي ظل يفتحها. لم تكن الزيادة هدية، ولم يصبح تأخره مباحا لأنه أعاد المال في النهاية. كان خطأ الحساب منفصلا عن اختياره الصمت بعد أن فهمه. شعر بالأسف على هذا الاختيار، ورجا رحمة الله وهو يبدأ إصلاحه، دون أن يجعل ثناء سامي شرطا لقبول الرجاء في قلبه. لم تتضمن الرسالة مدحا طويلا؛ كانت تأكيدا عمليا موجزا، وكان ذلك كافيا لإغلاق المعاملة. أغلق أحمد الملف ووضعه في الدرج. حين عاد إلى قائمة مشترياته، حذف الاعتماد على الثمانين، وأبقى السماعات لرصيد يدخره من ماله.

جرب على ورقة خاصة مثالا متخيلا لطالب اكتشف زيادة في مبلغ نشاط. اكتب ما يحتاج إلى فهمه أولا، ومن يمكنه سؤاله عن السجل، وكيف يتحقق من صفة المسؤول عبر قناة يعرفها. ميز بين نصيحة صديق وإجابة من يملك صلاحية مراجعة المعاملة. لا تستخدم حسابا حقيقيا أو اسم شخص أو مستندا ماليا، ولا ترسل الورقة إلى أحد. ناقش طريقة اختيار المساعدة المناسبة مع شخص بالغ موثوق؛ فهذا تدريب على السؤال والتحقق، وليس حكما عاما على الحالات المختلفة لرد الحقوق.